الطليعة
نشـــرة فكريَّـــة موسميَّـة مستقلّة
العـــدد الخامس، ديسمبر / كانون الأوَّل 2020
05

في ذكـرى عيـد الشهـداء

إطلالةٌ على سِيَر شهداء «الدِّفاع المقدَّس»

سماحة آية الله قاسم متأملاً في لوحة لأحد شهداء البحرين في الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلاميّة بجوار روضته النوراء

عيـد الشهـداء
أصالة النهج ووهم التزييف

الشهداء "لايعرفونَ الحُـدود"

يطـلّ إحيـاء «يـوم الشّهـداء» في البحريـن بذاكـرة ملؤهـا العَـزم والبـأس والإرادة في سـبيل اللهَ ومسـير الأنبيـاء، ولوحـة مخضّبـة بطُهـر الدّمـاء الـتي سـالت بسـياط الطّاغـوتِ ورصاصـه وبطشـه. ليشـكّل هـذا اليـوم المجيـد سـارية الـشّراع الـذي يمـضي بالقافلـة نحـو كل الأهـداف الإلهيّـة الكـبرى، يـومٌ لتأكيـد المؤكّـد، وترسـيخ هويّـة مـا لايُمكـن أنْ يُفْقَـد، لمضاعفـة حضـور مـا لا يُنـسى أويُغيَّـب .... الشّهيـد. إحيـاءٌ لأجلنـا نحـن الذيـنَ نبحـثُ عـن المعـنى في عـالم تكـثر فيـه شـوائب المـادّة، فنحيا ونـورق فيَ بسـاتين إيمانهـم وبصيرتهـم، لنتنفس «العزم الشّـديد» مـن عبـير دمائهـم الـتي كتـب الله لهـا أن تنمـو في الخالديـن.

أَهـل العبقريّـة والإبـداع، الذيـنَ أتقنـوا رسم الطّريـق لأنْفسهـم فخُـيّروا بـينَ رغْـد العَيـش وطريـق ذات الشّـوكة، فاختـاروا مـا ينفـخ في حيواتهـم الـرّوح، ويُبعـث في مجتمعاتهـم السموّ، ويُعـطي لوجـود الفـرد في أمّتـه بقـاءً يتجـاوز العُمْـر والجسـد، فاقـوا في الفَضـل كلّ فضـل حـتّى لم يعُـد فـوقّ بِـرّهم بـر.

لـكلّ شهيـد مـن شهدائنـا زاويـة، لـكلّ شهيـد زمـانٌ يُعلَـن فيـه بـدء معانقتـه للخلـود، فيتحـوّل مـن المِـصْر الـذي يسـقط فيـه، والقريـة الـتي يسـقط فيهـا، والزاويـة الـتي يسـقط فيهـا -جسـدًا- إلى عنـوان «للزّمـن كلّـه، للعـالم كلّـه» فهـو نـورٌ يخـترقَ الآفـاق، نـورٌ لاتحـدّه الزوايـا مهـما كـبرت.

والشهيـد بمـا هـوَ عليه مِـن هَمٍّ صَنّـاع، ووعي دفّـاق، وصـدر مُـزدحم بأنـين المسـتضعفين وسـياط المُسـتكبرِين فإنّـه لايعـرف الحـدود، يسـير تحـت رايـة عنوانهـا الإسـلام .. تمتـدّ مـن هـذه القريـة الصّغـيرة الـتي يقطنهـا إلى أقطـار كلّ الأرض، فيقـارع مـا وجـب مقارعتـه و«يكـون حيـث يجـب أن يكـون» جهـادًا وشهـادة، غـير آبـهٍ بحـدود المـادّة، وحـدود الاسـتعمار، و«لأنهـم لا يعرفـون الحـدود فيجـب أن ينفتـح عليهـم جميـع أهـل الحـدود». هكـذا هُم شهدائنـا الذيـن نُحـيي ذِكـراهم في عيـدهم.

ذُعر الحاكم ووهم التزييف

ولايكـفّ الشهـداء عـن قـضّ مضاجـع الطواغيـت الذيـنَ خالـوا أنَّ سـقوط الجسـد على الأرض بفعل السّـوط والرّصـاص يمكن لـه إنهـاء الشهيـد روحًـا وفكـرًا وحضـورا، فتجـده يقـف مرهوبًـا مذعـورًا مِـن أسمائهـم الـتي تمـلأ الجـدران، وأطيافهـم الـتي تفيـض عـلى طلائـع المجتمـع، ومنهجهـم الـذي يـزداد رسـوخًا في القلـوب والأذهـان، ليقـف حائـرًا مُلاحقًا بمزيـد مـن الذُّعـر بعـد الصّبـو للرّخـاء، هاربًـا إلىً ضاعفـة الفتـك والتزييـف.

ولأنَّ السّـوط والرّصـاص لاينـالان -في أعـتى الأحـوال- إلّا مـن الجسـد، ولأنّ قيمـة الشهيـد تتعـاظم فَي الأفـكار والأفئـدة النابضـة بنـور الإيمـان فـإنَّ المنفـذ الوحيـد الـذي يجـده الطّاغـوت المرهـوب لنفسـه هـو تزييـف الذّكريـات واغتيـال الأسـوة في المجتمـع، فيـدأب بعـد العجـز عـلى قَوْلَبـة المُناسـبات والذكريـات والمحطـات المُلهمـة ببريـق المـال ومسـاحيق الإعـلام ورنـين الأصفـاد، فيَظهَـر في قمّـة عجـزه وإشهـار ذعـره مُعلنًـا يومًـا لقتـلاه الذيـنَ اقتـصَّ منهـم أطفـال اليمـن العزيـز، وقتـلاه الذيـنَ قَضـوا وهُم ينكّلـونَ بشـعبه ويُمطرونـهَ بالغـاز والرَّصـاص مـوازاة ليـوم «عيـد الشّـهداء» في السّـابع عـشر مـن ديسمـبر، يـأتي مُهـرولاً نحـو مناسـبة متجـذّرة بغيـة تحقيـق كلّ الآمـال الـتي ذُكِّـرَت، ولكنـهُ -ومجـددًا- يهـرب مـن وَهم إلى وهم أشـد في أرض لاتـزال تَسـتذكر دَمـاء الغـزوات الـتيً مـضى عليهـا عـشرات السـنين، فكيـف بعيـد آت مـن التسـعينيّات ومتجـدد في الألفيّـةً الجديـدة، يحمـل إث الثمانينيّـاًت وماقبلهـا. إنّـه يسـتجلب تزييـف المناسـبات كاسـتجلابه شـذّاذ الآفـاق مـن وراء الحـدود للفتـك بشـعب الإيمـان اَلأبيّ .. وفـوق ذلـكَ كلّـه، لم يذكـر التّـاريخ أنَّ طاغوتًـا اسـتطاع أنَّ يزيّـف محطّـةً مـن محطّـات الشهـداء، عـلى العكس تمامًـا، كلما ازداد تفرعنًـا.. ازدادت مناسـباتهم وتفرّعًـا، وذلـكَ بعـضُ مِـن وعـد الله.

مناسبةٌ مُربّيةٌ صَنّاعَة

أمـا نحـن في هـذه المناسـبة، فأمَـام مسـؤوليات كـبرى تصـبّ نتائجهـا الزاخـرة في صناعتَنـا وصناعـة مجتمعاتنـا وأجيالهـا، إنّنـا في مناسـبات مـن هـذا النّـوع أمـام بحـر إلهـي أمـدَّه الله بعطـاءات أبديّـة لاتنضَـب، بحَـر الشهـادة والشهيـد الـذي نحـيي مناسـبته مـن أجـل أن نحيـا بـه ونـربّي في مدرسـتهَا أجيـالاً تتغنّـى «بعظمـة الشهـادة والشهيد» وتتـأسّى بهـم عـلى خطّ المقاومـة وطريـق الإبـاء، فـكل يـوم مـن أيّـام الشّهـادة وكل شهيـد مـن الشهـداء طريـق نـصرٍ وهدايـةٍ.

«هُم للزمن كله، للمكان كله، للعالم كله».

> **«أما نحن في هذه المناسبة، فأمَام مسؤوليات كبرى تصبّ نَتائجها الزاخرة في صناعتنا وصناعة مجتمعاتنا وأجيالها»**

> **إنّه يستجلب تزييف المناسبات كاستجلابه شذّاذ الآفاق من وراء الحدودَ للفتك بشعب الإيمان الأبي**

> **«إحياءٌ لأجلنا نحن الذينَ نبحثُ عن المعنى في عالم تكثر فيهِ شوائبَ المادّةَ، فنحيا ونورق في بساتين إيمَانهم وبصيرتهم»**

X X X

سياقات سياسية تدفع بمقاومة أنظمة الحكم الخائنة

أخذ واقع السياقات السياسية الأخيرة يرسم مدى تباينات الساحة السياسية في المنطقة العربية والإسلامية، لتساهم هذه التطورات في نشوء خارطة جديدة، تدفع بصيرورة مقاومة أنظمة الحكم إلى ضرورة إستراتيجية وحيوية عند شعوبها، بحيث لم تعد المسألة بين هذه الشعوب وأنظمة الحكم متعلقة بالمشاكل الداخلية والمحلية التي ترزح تحتها هذه الشعوب، وإنما أصبحت منذ وقت قريب تتعلّق بوكالة هذه الأنظمة عن أعداء الأمة في حروبهم على الدين والقيم، والتي تستهدف فيما تستهدف مسخ الهوية والتغريب الثقافي وإلحاق هذه الأمة بأعداءها، أو تسليم رقبتها إليهم.

وقبل أي شيء، فإن على هذه الشعوب أن تدرك تحوّل الساحة لمرحلة خطيرة جداً، تشكّل هذه التجاذبات التي تُقدّمها لنا تطورات المنطقة إحدى معالمها، والقائمة اليوم على التطبيع مع العدو الإسرائيلي الغاشم، والذي يعبّر عن إرتماء الأنظمة المطبّعة في أحضان المشروع الثقافي والتعليمي والأمني والاقتصادي، ستقلي بظلالها على الناس، وتؤثر على حياتهم بشكلٍ مباشر، وليس كما يتصوّر البعض بأنه مجرد تطبيعٍ سياسي سيبقى في الأروقة الرسمية، وإنما سيتجاوز كل هذه المجالات الحيوية.

ويبرز هذا المشروع اليوم، والذي لا يزال في بداية طريقه، ضمن سياقات أخرى قدمتها لنا هذه الأنظمة الخائنة، لكنه يكشف سوء هذه الأنظمة وإستحالة إصلاحها، فهي باعت نفسها إلى الشيطان بشكل علني، بحيث يشكل هذا السياق الأخير دلالة على وصولها إلى قمّة التردّي والحضيضية وإنعدام الخير!

بالأمس، كانت السياقات الداخلية التي تضع الشعوب في مواجهة استبداد الأنظمة ومشاريعها الهدَّامة وقمعها لإرادة الناس، طاغيةً على المشهد، وتشغل مساحة الاهتمام والقراءة السياسية العامة، لكنها بعد توقيع «معاهدات التطبيع الخيانية مع إسرائيل» أصبحت في مؤخرة سُلَّم أولويات الشعوب، لتضيف عبئاً جديداً ضمن أعباء هذه الشعوب المُرهَقة بالملفات المختلفة، والتقاطعات السياسية المتشابكة، والظروف الاقتصادية الصعبة!

وقد بدأت هذه الأولويات تشكل قناعة الشعوب التي يئست طويلاً من عودة هذه الأنظمة القاسية إلى رشدها، وإصلاح حالها، وإعادتها لحقوق الرعيّة، ليأتي «مشروع التطبيع مع الصهاينة» فيقصم ظهر البعير الذي أثقلته سنين القمع والتعذيب والحرمان، وهو ما يضع المشاريع السياسية المحلية أمام عامل جديد، سيحوّل المطالب الإصلاحية عند هذه الشعوب إلى مطالب أعلى في سقفها مما هي عليه قبل ذلك، لأن هذا العامل الأخير (التطبيع وإفرازاته) يرتبط بشكل مكشوف في نواياه ودوافعه مع السياق الداخلي لأزمة هذه الأنظمة مع شعوبها، إذا ما تمت ملاحظة دوافعها في «الحفاظ على كراسي الحكم»، والتي تشكل غايتها المُلحة، ما يعبّر عن ذروة الفجور في الخصومة، بحيث أنّ حقيقة هذا الأمر تعني استقواء هذه الأنظمة بأعداء الأمة الألدّاء، وهي مستعدّة لأن تُغيِّر حتى دينها من أجل ذلك!

ولعلّ هذا ما يجعل سماحة آية الله قاسم في كلمته بمؤتمر «ذلّ الاستسلام» الذي نظمته جماعة المدرسين بالحوزة العلمية في قم المقدسة (١٩ نوفمبر ٢٠٢٠) أن يدعو إلى «العمل المقاوم الصابر والصامد والموّحد»، ليكشف ضمن إطار هذه الدعوة التي تفرض نفسها على شعوب الأمة بشكلٍ لازم، أنّ «الهدف الرئيس للتطبيع المشؤوم هو توجيه ضرباتٍ موجعة قاضيةٍ لصحوة الأمة ونهضتها ومقاومتها، والعودة بالأمة مسافاتٍ شاسعة عمّا وصلت إليه على طريق الصحوة والنهضة والإصرار على المقاومة والاستقلال»، وأنه «زحف صهيوني مادي وحضاري عبر بوابة أنظمةٍ عربيةٍ اختارت لنفسها أن تكون في خدمة الهدف الأمريكي والصهيوني، هدفه قهر الأُمّتين العربية والإسلامية»، ونتسائل هنا: ماذا بعد هذا غير العمل المقاوم كما قال سماحته؟

ولئن كانت الشعوب في وقت سابق تبحث عن مبررات مقاومتها لأنظمة الحكم، وخروجها عليها، فإنها اليوم ليست بحاجة لذلك، وهي تملك من الأعذار ما يملء دفاتر التاريخ.

هي إنتقالة سياسية وحدث تاريخي فارق ومزلزل، لن يكتفي بتغيير كل هذه التباينات الرتيبة التي كانت قائمة على توازنات الداخل الهشّة، والمطالب السياسية التي أصيبت في مقتل، والمشاريع السياسية المتردّدة، وإنما إلى ما يشفي غليل الأمة من الطعنة الغادرة التي تلقّتها في الظهر.

□ أحمد العصفور

> **يبرز هذا المشروع اليوم، والذي لا زال في بداية طريقه، ضمن سياقات أخرى قدمتها لنا هذه الأنظمة الخائنة، لكنه يكشف سوء هذه الأنظمة وإستحالة إصلاحها، فهي باعت نفسها إلى الشيطان بشكل علني، بحيث يشكل هذا السياق الأخير دلالة على وصولها إلى قمّة التردّي والحضيضية وإنعدام الخير!**

ذكـرى الرحيـل

القضية الجهادية التي لا تموت ورجل العناد والمكابرة

هذا هـو «الجمري» في عيـــون «قاسم»

□ إبراهيم علي

لا تَسلَم الشخصيات الإسلامية الراحلة -لمدى تأثيرها حتى بعد رحيلها- من الاغتيال، فلا يكفي عند من يكيد بالساحة أن يُجرِّد تلك الشخصيات من تاريخها الجهادي ومواقفها الصلبة ومبدئيتها الرسالية، حتى لا يبقى منها سوى الصورة التي يرسمها.

وقد حاولت أقلام متعددة النوايا ممن يعرفون بلحن القول؛ اغتيال تاريخ العلامة الراحل الشيخ عبدالأمير الجمري «رضوان الله تعالى عليه» على هذا النحو، فقدّمته في قوالب مهزوزة، طبقاً لخلفيّاتها الفكرية المعروفة، فمثلاً أبرزت انفتاحه المبدئي الذي «يتناسب مع المرونة الإسلاميّة المعتدلة في التّعامل مع الآخر» على أنّه انفتاحٌ بلا ضوابط وبلا حدود، بعيداً عن مبدئيته وخطه الإيماني الصادق.

وقد تنبّه سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم لهذا العمل بعد رحيل أبي جميل، ما جعله يثير هذا الموضوع في خطبة الجمعة رقم (٤١٦)، ليؤكد بأن هذه الأقلام غير المخلصة تتصدى للتشويش على الفكر الديني، واصطياد العقول عن طريق العاطفة، والتأثير على الرؤية الإسلامية الصّادقة، وعمليّة التضليل والتحريف المتعمّد لفكر الشباب في مادّة من الثناء والتمجيد لشخصية المتوفّى بالصّورة التي تخدم هدف التّشويش والتضليل والتشويه للفكر الإسلامي وتوجُّهات الإسلام، وتُسيء إلى شخصية علمائنا الكرام من ناحية إسلامية.

وقال سماحته بأنّ هذا اللون من المكر يوجّه خطاباً للجمهور المؤمن بأن الشخصية الإسلاميَّة المثال هي التي تعيش هذه الحالة من الانفتاح، وتضحك للفساد، ولا تُفرّق بين واجب العمل على وحدة الأمة وصيانتها وحمايتها والدفاع عن حقوق كلّ أبنائها وبين السّكوت على ظلم الظالم، وعربدة المعربد، وإفساد المفسد، والسّرقات العامة، واغتيال الشعوب ووحدتها.

وأشار سماحته بأنّ هذا الخطاب يُوحي للجماهير المؤمنة بأن تنفصلَ عن المدافعين عن الحقوق، المناضلين عن عزّة الأمّة، المحامين عن حرمة الدين وقُدسيّته، وسلامة مفاهيمه وأحكامه، والذائدين عن حريم الأخلاق، وحرمة القيم.

وأضاف سماحته بأنّ أصحاب هذه المحاولة المغتالة لشخصياتنا العلمية الدينية العزيزة يعرفون تماماً مبدئيّة تلك الشخصيات وتمسّكها بالإسلام الذي يرسم حدّاً فاصلاً بين الكفر والإيمان، والظلم والعدل، والانحراف والاستقامة، ولا يسمح بخلط الأوراق، ولا التقوّل على الدّين، ولا إدخال ما ليس منه فيه، ولا يأذن بالموافقة على الظّلم، ومباركة البغي، والرِّضى عن الفساد، والتّمييز بين النّاس بغير حقّ، مشدداً بأنّهم من أعدى الأعداء لمواقف أولئك العلماء الأفذاذ المناهضة لكلّ أشكال الفساد والظلم والتمييز الجاهلي وإذلال الشعوب والأمة. ولكن، ماذا عن سماحة الشيخ أبي جميل في عيون رفيق دربه أبي سامي؟

قضية الإسلام التي لا تموت

يقرأ سماحة آية الله قاسم شخصية سماحة الراحل الجمري من خلال الإسلام، ذلك أنّه عالم دين ينطلق من هذه الخلفية، لذا يؤكد بأن قضيته كانت القضية الكبرى، وليست القضية الصغيرة أو الثانوية، وإنما هي قضية الإسلام الحبيب، قضية التوحيد الحقّ.

لذا يؤكد سماحته في ختام مراسم توديع سماحته في الكلمة التي ألقاها في مقبرة بني جمرة (٢٠٠٦) بأن الشيخ كان يتحرك وقضيته الإيمان، مشدداً: «صاحبنا قضية، صاحبنا دين، صاحبنا وعي، صاحبنا إيمان، وكل ذلك لا يموت».

خط جهادي صامد

وإلى جانب ذلك، فإن الشيخ أبي سامي يُعرِّف رفيق دربه بأنه «رجل الجهاد والساحة، رجل المكابرة والمعاندة في سبيل الله، رجل الصمود، ورجل كبرياء الإيمان، ورجل الإصرار على القضية».

ويقول في هذا الشأن كذلك: «ما ودّع الحياة إلا بعد أن أعطى دفعةً للنفوس، وزخماً من الحماس الديني، وزخماً من الحماس الوطني الطاهر، وزخماً من المحبة والصدق وروح التضحية والفداء»، لافتاً في مكان آخر بأنّ «سماحة الشيخ واحداً من أبرز صنّاع الوعي الديني والسياسي، والروح الثورية في هذا البلد العزيز. وكان قائداً سياسيّاً سجّل نجاحاً في أكثر من بُعد، ودفع بمستوى الحراك الشعبي إلى الأمام، واستقطب الجماهير بدرجة عالية في سبيل كرامتها وعزّتها، واستمات في الدفاع عن حقوق الشعب ودينه وعزّته، ومقاومة الظلم والاستبداد، ولم يعدل عن خطّه الأصل إلى الأخير، ودفع من أجل ذلك حيويته ونشاطه وصحته».

كما اعتبر سماحته في البيان الذي أصدره في العام ٢٠١٩ بمناسبة الذكرى السنوية للرحيل المفجع، أنّ هذه المناسبة تعدّ من المناسبات المربيّة، وأنّ إحياءها «إعلانٌ عن الانشداد الدائم الثابت للإسلام، ورفع رايته، والبقاء على خط الجهاد الذي يدعو إليه، ومواصلة السير لتحقيق أهدافه.. إعلان بأن الولاء للإسلام هو مقياس شعبنا لأي ولاء آخر، ولا ولاء لهذا الشعب أبداً على خلاف الولاء للإسلام، ولا طاعة له أبداً خارج طاعة الله ومن دون إذنه.. إعلان للولاء للإسلام والبراءة من كلّ ما هو على خلافه، وإعلان باستمرار المطالبة ومن منطلق الإسلام نفسه وقرآنه وسنّته وتربيته الرشيدة وأهدافه العليا بردّ المظالم، وتصحيح الأوضاع والإصلاح الشامل، والإسلام حق ولا شيء من الحق في كل ما قابله، وهو عدل ولا شيء من العدل في كل ما يضاده».

نموذج قيادي إسلامي متقدّم

وفي شأن الدعوات التي كانت تتكاثر في العام ٢٠١٠ من أجل انفصال الأمة عن خط العلماء والمرجعية الدينية، قَدَّم سماحة الشيخ «حفظه الله تعالى» شخصية الشيخ الراحل أبي جميل على أنها النموذج الرائد في البحرين، مشدداً: «قد جرَّبت البحرين القيادة الدينية في ظلّ شيخنا الجمريّ الذي ما كان يستهدف إلاّ الإصلاح، وكلّ دعواته إنما كانت للعدل والمساواة والإخوّة الإسلامية والإنسانية والتقدّم الكريم في هذا المجتمع، وقد شهدت سيرته بكل ذلك».

وأورد سماحته إسم الشيخ الراحل ضمن تجربة القيادات الدينية التي تجسّدت من خلال الموقع الشعبي، أمثال حسن البنا، والسيد قطب، والسيد محمد باقر الصدر، والإمام الخميني، والسيد موسى الصدر، والسيد فضل الله، والسيد حسن نصر الله، لافتاً بأنّ «كل هذه القيادات لم تتأخر بالأمَّة علماً ولا عَمَلاً بل أعطتها التقدم والنباهة واليقظة، وأثارت فيها روح العزّة والكرامَة، وساهمت في إصلاح الأوضاع، وأنارت الطريق، ودعت إلى كل تقدّم نافع».

انفتاح رساليٌّ مبدئي

وعودة إلى مسألة الاغتيال المعنوي لشخصية العلامة الراحل من خلال تجييره لإطارات محددة، فإن الشيخ قاسم شدد بأن انفتاحه كان في إطار الانفتاح الذي يرضاه دين الله سبحانه، وهو انفتاح -بحسب ما يُعرِّفه قاسم في خطبته- «ينأى بالشخصية الإسلامية العارفة بالإسلام عن التعصُّب الأعمى، والظّلم للآخر، أو السّكوت عليه، والرِّضى به وعدم دفعه مع الإمكان، وعدم الغمط لقيمة كلمة الحق الصادقة، وموقف الحقّ السّليم من أيٍّ كان، وقبول وجهة النّظر من أين جاءت، وعدم الانغلاق عن حوار الآخر، والسّماع لما عنده من رأي وحجّة، وما يُبديه من عذر. إنه انفتاح لا يضع شرطاً على قبول الحقّ، ولا يستثني منه ما صدر من مكان خاصٍّ أو زمان معين، أو جهة محدّدة، ولا يألُ جهداً في جمع النّاس على الحقِّ، وعلى احترامٍ بعضهم بعضاً، ورعاية الحقوق، وتقدير الحرمات، وحفظ كرامة الإنسان، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه، والإنصاف في الكلمة والموقف».

ويواصل بالقول «أمّا الانفتاح الذي تدعو إليه الأقلام المنغلقة عن الحقّ، المتعصبة للباطل، المشاركة في ظلم الشعوب، المنطلقة من روح التميز، المتآمرة في الظّلم على سلامة الدين، وكرامة الإنسان، وحقّ المحرومين وتطالبنا به؛ فهو انفتاح لا يعرفه الإسلام، ولا يمكن أن يقبله الإنسان المسلم وهو يطالبه أن يميع أمام الظلم، وأن يصفّق للباطل، وأن يهرول مع من يهرول على خطّ بيع الأمّة وتغريبها ومسخ هويتها، وأن ينسلخ من هويته ويندمج بجوِّ الفساد والمفسدين».

في عيد الشهداء .. «الطليعة» تفرد صفحاتها لشهداء البحرين في «الدّفاع المقدّس»

مِن سِيَر طلائع الجبهات والجهاد: حيث يكون الإسلام

1980
1988

□ محمد الجزيري

تأبى شموس الجهاد أنْ يخفت بريقها مهما تقدَّم الزَّمن وتبدّلت الأيّام، أسماءٌ يزدحم بها التّاريخ ورُغم الزّحام .. يبقى لكلّ واحدٍ منهم حكاية فريدة، وضياءٌ يخترق إشراقه كلّ عتمة الزّمان. مِن هؤلاءَ شهداءُ أحبَّ الله لقاءهم وأحبّوا لقاءه، ارتقوا في مرحلة حسّاسة من تاريخ هذا العالَم، وشيّدوا بدمائهم ودماء رفاقهم الأبرار حصنًا منيعًا لمشروع الإسلام ودولتِه خلف ذلك المُصلح الذي فتح الله على يديه الفتح العظيم.

بُهت الأعداء بتفجّر الثّورة الإسلاميَّة المباركة في إيران، وصُعقوا بانتصارها وارتداداتها التي تجاوزت كل الجغرافيا، تلك التي حرّكت أمواج الصّحوة والأمل في قلوب المُستضعفين وبراكين الذّعر في عروق المستكبرين، فتحرّكوا لوأد دولة الإسلام بشتّى الصّنوف التي كانت إحداها الحرب الضّارية على الدولة الفتيّة بكلّ عتاد المُعسكر الآخر ومقدّراته عبرَ طاغية العراق صدّام وجيشه، الحرب المفروضة على الجمهوريّة الإسلاميّة ١٩٨٠ - ١٩٨٨، تلك التي لايزال كثيرٌ من أبطالها إلى اليوم يُزهرون في تُرب الجبهات، وباتت أضرحتهم قبلةً تُلهم الذينَ أبصروا الطّريق وعشقوا العَلياء التي مضَى إليها رفاق الإيمان في "ذات شوكة" تشيّد الحضارة الإسلاميَّة الجديدة بوجه كلّ معسكرات الباطل.

ولأن الإسلام لا يعرف حدودًا جغرافيّة، والحقّ عابرٌ لكلّ المعابر كان هؤلاء الشهداء، شهداء البحرين في معركة الدّفاع المقدّس على تُرْب الجمهورية الإسلاميّة، الذينَ أعاروا الله كلّ وجودهم، وسطّروا أبهى معالم الإيثار، وأروع فصول الشجاعة والإقدام، حتّى باتوا اليوم منارات شامخة يُشار إليها .....

ملحمة عمليّات كربلاء ٥
سيّد محمَّد، المادح والعالي

لم يَكن يرى أولئك الذينَ يخالطونَ الفَتى العشريني في جزيرة سترة السيِّد محمَّد ضياء الذي لا تفارقِ إشراقة الدّماثة محيّاه أنْ يكونَ لهذا الفتى مستقبلاً اعتياديًا، التحقَ بالحوزَة العلميَّة شابًا يحمل صفاء التّقوى ونَهم العِلم ومَن يحملهما فإنهُ يحوز مَلَكة النَّظر إلى أسمى الأهداف، التحقَ السيّد محمد بالجبهة ملبّيًا نداء العشق، مواضبًا على صفوفها شوقَ اللّقاء، فكانَ يجمعَ بينَ بندقيّة المعركة والمعرفة، يوصي قبل مغادرته رفاقه ويؤكد عليهم تسجل كلّ الدورس التي سيكون غائبًا عنها حتّى إذا ما عادَ انكبّ عليها، كان على هذه الحال طوال تنقّله بين صفوف العِلم والجهاد.

عمليّات كربلاء الخامسة التي يقول عنها شهيد الإسلام العظيم الحاج قاسم سليماني «لو قلت إنّ واقعة أخرى لكربلاء قد وقعت في عمليّات "كربلاء ٥" إلى جانب كربلاء الإمام الحسين(ع)، بكل تلك التضحية والإيثار والقيم التي تجلّت في مواقف أنصار الإمام الحسين فيها، لما كان كلامي جُزافًا»[1]. كانَت هي المحطّة التي وصَلَ فيها الشّهيد السيّد محمد ضيَاء السيّد شبّر إلى غاية المُنى.

وعلى بُعد أيّام قصيرةَ كانَ مجاهدٌ آخر يستبشر اللّحاق، شابٌّ تُناط به المهام الجسام، وعمامةٌ بيضاء تُبدع الرّماية فوقَ سواتر الجبهات، الشيّخ إبراهيم المادح. ذلك الذي يحمل الهمَّ الإسلامي أينما كان فكانَ رفاقه يُبحرون في نقاء تديّنه والتزامه، ويستلهمون مِن تبليغه في المُجتمع وجمعه لأفئدة إخوانه. ذلك المجاهد ابن "جدحفص" الذي يحترف ساحة الجهاد كان على موعد هو الآخر مع قصّة اللّقاء، ولم تُكن تلكَ القذيفة التي طالته شظاياها رسالة الوَصْل الوحيدة، إذ سبقتها رصاصة قنّاص قُرَب الماء التّي يحملها لرفاقه المجاهدين .. كالعبّاس تمضون، ويبقى لواء الإسلام عاليًا في عمليَّة هيَ مَن أهمَّ عمليّات الدّفاع المقدَّس، يقول محمد حسين قدمي في كتابه "حفلة الخضاب"[2]: «كان سرّ نجاحنا في كربلاء الخامسة التّقوى ودعاء الشباب». وقد كان هؤلاء الشّباب مِن آيات التقوى بحقّ.

يتحدّث الشهيد الحاج قاسم سليماني عن تلكَ العمليّات وسموّ أرواح أولئك المجاهدين الذين اختلطت دماؤهم في تلكَ الجبهة وأجواء ميادين كربلاء ٥ قائلاً «عندما أعود إلى تلك الفترة الزمنيّة، أشعر أنّه لا شيء من تلك الشجاعة وتلك الأفكار وأولئك الأشخاص يرتبط بهذه الدنيا الترابيّة، فتلك الميادين قد أوجدها الله، وإرادته هي التي كانت مهيمنة وهي التي أوجدت تلك الأجواء».

وهيَ الإرادة ذاتها التي حَمَلت الشّيخ محمد العالي وهوَ في ربيع شبابه أنْ يختَم طريق جدّه الذي كانَ بين صفوف النّجف وقُم بالالتحاق بصفوف الجبهة، الشّاب الذي كانَ شُعلة رساليَّةً بين شباب المسجد في قريته، وصاحب الخُلق والالتزام البصير لم يَكُن ليُسكن الشّوق الذي في صدره سوى تلكَ الرّصاصة التي اخترقته فاخترقَ بها كل الحُجُب لينضمَّ إلى قافلة ضمّت العشرات والعشرات مِن الشّهداء الأطهار، وإلى أبناء أوال والإسلام في عمليّات كربلاء الخامسة. وقد أوْجزَ الذي عاش تلكَ المعركة: «إنَّ اسم عمليات "كربلاء ٥" يجعلني أرتجف».[3] لما تحويه من عَظمَة في الفُصول والنّصول وماكانَ لهَا مِن صبغةٍ ملكوتيّة بأحداثها ومجاهديها.

بينَ السّجن ومرارة الإبعاد
الزّهيري، جعفري وبهلوان .. إلى سعادة الأبد

صاحب الأشلاء المقطَّعَة، الذي بلغَ مُنتصف العشرين حاملاً معه هموم المُحتاجين وآلامهم، ابن المنامة الشّهيد حسن علي محمد بهلوان صاحب الهمّ الذي صنعه وعيًا وبسالة وجرأةً في الإقدام. كانَ مِن أوائل الذينَ التحقوا بجبهة الحقّ مُحلّقًا في نصرة الحقَّ وجبهته بكلّ ماكان يحمله مِن وعي رسالي، وروحٍ صنّاعة للابتسامة في أحلك الظروف. قضى "أبوجهاد" أشلاءً في واجبه الجهادي تجاه إحدى مقرّات معسكرات الباطل هوَ ورفاقه مؤديًا رسالته التي رفع شعارها صادقًا في الفكر والفعل وهكذا يكون الكبار في مجتمعاتهم الإيمانيّة، فمَاكانَ مِن النّظام الطّاغوتيّ إلا أنْ يرحّل كلّ عائلته مِن تُرب البحرين.

بعد ما يقارب العام كانَ الموعد معَ إعلان شهادة مُجاهدٍ آخر، تآلفت الحُروق التي في جسمه إثر التعذيبِ الذي كانَ قد لاقاه في سُجون البحرين وتُرب الجبهات. تَرَكُ الشّهيد إسماعيل الجعفريّ الذي شرب الولاء لآل محمد مِن كفّ والديه مدينته المحرَّق بعد خروجه مِن السّجن وعائلته في إبعاد قسريٍّ بعد قيام الثّورة المباركة على يد الإمام العظيم في إجراء كان يمثّل ذُعر النّظام آنذاك -وإلى اليوم- مِن صوت المُستضعفين، فالتحقَ "أبوحسن" بصفوف الجبهات دونَ أن يوقفه شيء عن جبهة الإيمان .. حيثما كانَ، تاركا صغيره "حَسَنْ" شاهدًا على إيثار هؤلاء الشهداء وانصهارهم في الحقّ وذوبانهم في الالتحاق بركْب الحُسين في القرن العشرين.

مدَّة طويلة هي التي قضايا الجعفريّ بينَ صفوف الجبهات، وكثرةٌ هي اللحظات التي كان يشارك فيها عندَ عودته واستراحته رفاقه همَّ البحرين التي فارقها، لتتحقّق أمنيته في ذلكَ الصّيف بمواجهات ملحميَّة مع العدوّ في الجبهات اختُتمَت برصاصاتٍ قلّدته الشهادة في قلبهِ وصدره.

أمّا في رُبى "شاخ شميران" فهُناك شاكر مهدي عبد الرسول الزهيري، العشرينيّ الذي هُجّر قسرًا مِن بحرينه وقريته "اَلسّنابس" فما كلّ في علمه وبدأ بدراسة المقدّمات. وما تقهقر في إيمانه بعملهِ فالتحقَ المعروف بالجُرأة في الحقّ بينَ إخوانه بالجبهات.

في "شاخ شميران" التي حملت قصصًا من البطولة والبسالة بينَ كثيرٍ مِن أبناء الإسلام كانَت لأبناءً البحرين يَدُ في الذّود عن الإسلام، وبينَ تلكَ الأسلاك والألغام قضى "أبوهاني" شهيدًا سعيدًا مضرّجًا بدمه برصاصة قنّاص صدّامي كانَ رفاقه قد أُنهكوا مِن مواجهة هذه الطَّليعة المؤمنَة.

عمليّات كربلاء الخامسة التي يقول عنها شهيد الإسلام العظيم الحاج قاسم سليماني «لو قلت إنّ واقعة أخرى لكربلاء قد وقعت في عمليّات "كربلاء ٥" إلى جانب كربلاء الإمام الحسين(ع)، بكل تلك التضحية والإيثار والقيم التي تجلّت في مواقف أنصار الإمام الحسين فيها، لما كان كلامي جُزافًا». كانَت هي المحطّة التي وصَلَ فيها الشّهيد السيّد محمد ضيَاء السيّد شبّر إلى غاية المُنى.

قد أوْجزَ الذي عاش تلكَ المعركة «إنّ اسم عمليات «كربلاء ٥» يجعلني أرتجف». لما تحويه من عَظمَة في الفُصول والنّصول وماكانَ لها من صبغة ملكوتيّة بأحداثها ومجاهديها.

جوانب مصوَّرَة
من حرب الدّفاع المقدَّس

عمليّات كربلاء ٢
البابور والحدّاد معًا إلى العلياء

لم يكُن لإبن "الدّير" النّهم بالفيزياء في "مدرسة الهداية" شيء يحدَّه من الالتحقاء بدراستها جامعيًا في إحدى جامعات المملكة العربيّة الذي أهّله تفوقه العلمي لذلك بجدارة حتّى أنهى دراسته بدرجة البكالريوس عام ١٩٨٣م بجِدّه المعهود الذي لم يفتر. إلّا أنَّ ثمة وهج آخر كان يكبر يومًا بعد عند الشيخ موسى البابور، ذلك الحلم العلمي الذي لم يفارقه؛ الالتحاق بالحوزة العلميّة في قم المقدَّسة، ولكن أماني العباقَرة إلى هذا الحدّ - ككلّ أسلافه - التحق الشيخ "أبورضا" بالجبهة بعدَ ثلاث سنوات من الدرّاسة العلميّة.

في تلكَ العمليّات كانَ الشّيخ موسى يرافق الكثير من أقرانه الذينَ كانوا في صفوف الجبهة وتحديدًا في "علميّات كربلاء٢" حينها، إلّا أنَّ اختيار الشّهادة ليسَ كأيّ اختيار، اختارت الصّدر الأكثر شوقًا والأشدّ سكينة اختارت ذلك القلب الذي يلهج بـ"يا مُنى قُلوبِ المُشْتاقين".

لم تكن العمليَّة التي انطلقت بنداء "يا أباعبدالله الحسين" لتنقضي في ذلك اليوم إلا بارتقاء شهيد آخر من كوكبة الشهداء البحرانيين في حرب الدّفاع المقدَّس، الشيخ أبوأحمد خليفة الحدّاد، الذي عادَ من سنغافورة مُلتحقًا بالدّروس الدينيّة. لم يكن للاعتقال الذي دام لأشهر في سجون النّظام الطّاغوتي في البحرين أنْ يحول بينه وبينَ مايؤمن به حيال نهضة الإمام الخميني(رض) العظيمة والصّحوة الكبرى. كانَ الشيخ الحداد ابن "رأس الرّمان" صاحب الحراك الثقافي في المجتمع، والقائم في محراب خلوته أنْ ينالَ خلود الشّهادة وحَسب، فقد بقيَ جثمانًا مفقودًا لسنوات بينَ حقول الألغام مكللًا بضيافة الزّهراء، فكانَ مشعل الإيثار الذي يمضي هو وكوكبةٌ أخرى من رفاقه في هذه الحقول التي لايرى منها إلا راية الإمام المُصلح الذي يُفدى بالمُهج والفداء له فداء للإسلام، ولا يُسمع منه سوى: مَنْ ذَا الَّذي ذَاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِك، فَرامَ مِنْك بَدَلاً؟ وَمَنْ ذَا الَّذي أَنِسَ بِقُرْبِك، فَابْتَغى عَنْك حِوَلاً؟

خاتمة الظَّفر، عمليّات مرصاد
السّرو وعاشور

لم يقبل العدوّ في أواخر هذه الحرب المفروضة التي دامَت لثمان سنوات على دولة الإسلام أنْ تنتهي رُغم تقهقر الأُمنيَة الأمميَّة بالقضاء عليها، فكانَت العمليّة عبرَ مرتزقته الذينَ تبدّدت آمالهم باختطاف هويَّة الثورة الإسلاميَّة «مَنظّمة خَلق» انطلاقًا من الحدود العراقيّة بإسناد جوّي وإمداد ميداني كبيرَيْن، إلا أنَّ جبهة الحقّ كانَت "بالمرصاد" فكبّدتهم خَسائرَ لاتوصف، «.. مقتل أكثر من أربعة آلاف منافق وجندي عراقي، الأمر الذي لم يكن يتوقعه أحد، وأن يتم بهذه السرعة. هذا الأمر بث الرعب مجددًا لدى صدّام، لذلك أسرع ليعلن موافقته على القرار الأممي»(؟).

من أولئك الأبطال الذي شاركوا في هذه العمليَّة كانَ أصغر شهداء البحرين سنًّا، الذي أحبَّ كُنيته "أبوشهيد" فكانَ ابن الدّراز محمّد جعفر السّرو على موعد صدق مع الشهادة التي خالَ أنها أشاحت عنه بوجهها مع انتهاء المعركة، دونَ أنْ يعلم أنّه درّة سُبحة الشهداء البحرانيين في هذه الحرب المقدَّسة.

وإلى جانبه، استلقى شَيخ سترة، الشّيخ محمد نعمة العاشور خاتمًا فصول بسالته وإقدامه، مخضّبًا مُستبشرًا مُعانقًا النّور الذي كان يسعى إليه ببصيرَته في هذه المعركة، فكانَ هو الآخر خاتمة الذينَ شرفوا هذه الجزيرة وهذا الوطن الذي قامَ على مِداد العلماء وأُضيء بدماء الشهداء في معركة الإسلام والإيمان.

(١) قاسم سليماني ذكريات وخواطر
(٢) حفلة الخضاب، محمدحسين قدمي
(٣) جوهرة هامون، ذكريات الشهيد ميرحسيني
(٤) الهداية الثالثة، محمد جعفر الأسدي

في تلكَ العمليّات كانَ الشّيخ موسى يرافق الكثير من رفاقه الذينَ كانوا فيَ صفوف الجبهة وتحديدًا في "علميّات كربلاء ٢" حينها، إلّا أنَّ اختيار الشّهادة ليسَ كأيّ اختيار، اختارت الصّدر الأكثر شوقًا والأشدّ سكينة اختارت ذلك القلب يلهج بـ"يا مُنى قُلوبِ المشتاقين".

من أولئك الأبطال الذي شَاركوا في هذه العمليَّة كانَ أصغر شهداء البحرين سنًّا، الذي أحبَّ كُنيته "أبوشهيد".. دون أن يعلم أنّه درّة سُبحة الشهداء البحرانيين في هذه الحرب المقدسة.

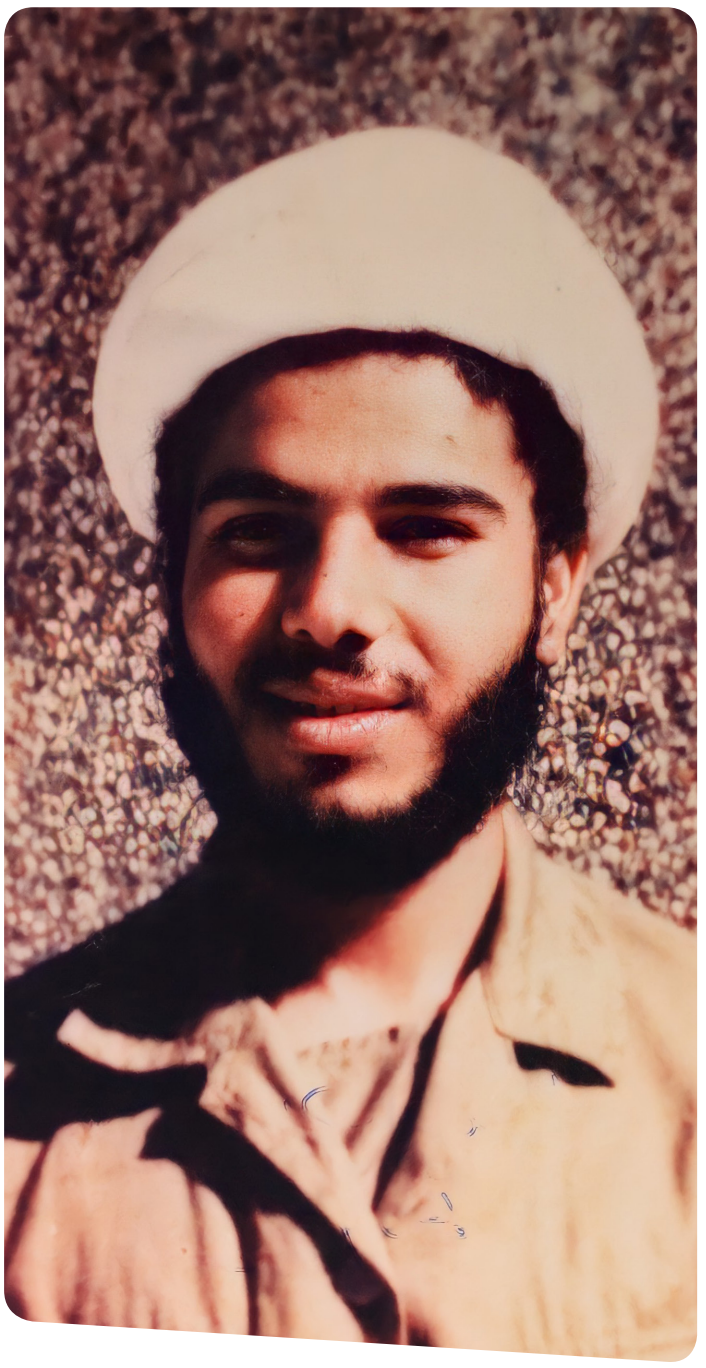

الشّهيد السّعيد في عمليّات «كربلاء ٥» بلباس العِلم والجهاد

لقاء حول السيرة الاجتماعيَّة لشهيد الدّفاع المقدَّس الشيخ إبراهيم المادح

الطّالب الرسالي والمعلّم التّواق

في تصفّح تاريخ الشّهداء يكونُ تقرير مَصير الكثير مِن العقول، وفي الوقوفِ على أعتابهم جلاءٌ لإبصار الطّريق الأهدى والمسلك الأقوَم. وكما لكلّ الشّهداء فإنَّ لشهداء البحرين صفحاتٌ ممهورة بالدّم في تاريخ هذه الأمَّة ونهضتها، مِن هؤلاء الشّهداء شهداء «الدّفاع المقدَّس» تحت لواء الإمام الخميني العظيم في الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلاميَّة في إيران (١٩٨٠- ١٩٨٨) التي اجتمعت عليها كلّ قوى الرجعيّة والاستكبار (عبرَ طاغية العِراق) لوأد المشروع الإسلامي، فكان للإسلام في البحرين فتيةٌ اختلطت دماؤهم بدماء المدافعين عَن دولة الإسلام في جبهة القتال ضدّ طواغيت الأرض.

مِن جملة هؤلاء الشّهداء هو الشهيد الشيخ إبراهيم المادح الذي استشهد في «عمليّات كربلاء ٥» في الشهر الأوَّل من عام ١٩٨٧م لتكون روضته اليوم إلى جانب رفاقه المجاهدين في الجمهوريّة الإسلامية عنوانًا لإسلام أرضٍ اختلطت دماء فتيانها بنسائم الطّف، وقيام الخميني العظيم، .. وصولاً لبزوغ شمس بقيّة الله الأعظم.

وتجهد «الطّليعة» في عددها المتزامن مع «عيد الشهداء» إلى جانب تلك السيرة الجهاديّة الباسلة لهؤلاء المجاهدين أن تسلّطَ مزيدًا من الضوء على تلك الهموم والتطلعات التي كان هؤلاء الشهداء يعيشونها في حياتهم الشخصيّة والثقافية قبل التحاقهم بهذا الركب المبارك، عن سيرة الشهيد إبراهيم المادح يحدّثنا شقيقه سماحة الشيخ سعيد المادح عن بعض ملامح هذه السيرة والمسيرة.

□ البداية الأولى .. كيفَ نشأ الشهيد وكيف نَمَتْ فيه هذه البذرة الإيمانيّة؟

بسم رب الصديقين والشهداء، بداية أود أن أشكر مجلتكم الرائدة (الطليعة) على جهودها المباركة، ولا أخفيكم كم انشرح صدري حين طالعت العدد الأول من المجلة، وتفاءلت كثيرا بأنها ستشق طريق النجاح بإذن الله تعالى وها أنتم تفعلون. وفقكم الله لخدمة الاسلام العزيز.

ولد الشيخ الشهيد إبراهيم الحاج حسن محمد علي آل عبد السلام (المادح) في عام ١٩٦٥م في بيت عرف بالإيمان والتدين، وكان والده مثالا ساطعا في الإيمان والأخلاق المحمدية الرفيعة، وقد تأثر الشهيد كثيرا بوالده الحنون الطيب، وكان صورة مصغرة من والده.

ترعرع الشهيد في (مدينة جدحفص) وهي منطقة كذلك عرفت بالإيمان والتدين وخصوصا محل سكنه (فريق السلطاني). كان ملتزما خلوقا منذ نعومة أظفاره، وكان من الطليعة المؤمنة التي يؤمل فيها، كان مواظبا على حضور مجالس العلماء وبيوتهم، وكان يدفع بأخويه الصغيرين للذهاب معه لتلك المجالس ويرغبهما بحرص شديد.

كان الشهيد يحب الصلاة في أوقاتها وهو صغير، كان يقوم الليل، وكان من النادر في ذلك الزمان أن تجد بين الكبار والمؤمنين من يقوم الليل فضلا عمن هو في مثل سنه. كان مواظبا على النوافل والصيام المستحب، ملتزما بصيام شهري رجب وشعبان في كل عام، ويومي الاثنين والخميس من كل اسبوع، وفي المناسبات التي تتضمن الصيام، ولم ينقطع عن الصيام المستحب حتى في شدة حرارة الصيف، حتى بدى عليه الضعف والاجهاد فكانت والدته ووالده يطلبان منه الانقطاع عن الصيام، فيصر على الاستمرار رغم التعب.

توفق الشهيد للحج الأكبر فذهب عاملاً ضمن كادر الحملة وهو مايزال في سن مبكرة، ولعله في السادسة عشرة من عمره، وينقل أحد إخواني أنّ الكل كان يشهد له بالتفاني في خدمة الحجاج في الحملة، كان آخر من يركب الحافلة بالطريق بعد أن يصعد الحقائب والاغراض ويتم الخدمة بأكمل وجه، وكان آخر من ينام بعد أن يؤدي جميع وظائفه تجاه الحملة وفي نفس الوقت يؤدي مناسكه وأوراده وعبادته وتهجده.

□ مِن خلال معاشرتكم للشّهيد ومِن خلال رفاقه الذين عرفتموهم، كيف نصف للقارئ العزيز معالم شخصية الشهيد؟

□ كل ما أتذكره من مشاهداتي لأخي الغالي على قلبي هو عدة صور مضيئة ومنيرة، ولم يترك الشهيد في ذاكرتي وأنا طفل وصبي -حيث كان يكبرني بتسع سنوات- أي أثر لكلمة جارحة أو موقف غير حسن، بل ترك ذكراه طيبة نقية لدى كل من عرفوه من قريب أو بعيد. أما أخلاقه في المنزل فقد كان بارا حقيقة بأمه وأبيه، وكان جدياً في حياته وهادئاً منذ الصغر بحيث لم يتسبب لوالديه في مشاكل وأذى، وكان لا يتذمر ولا يتعذر اذا طلبا منه شيئا.

كان معلماً حريصًا على تهذيب وتعليم إخوته، ومن اللطائف أتذكر أنه فرض علينا أن لا ندخل الغرفة إلا بطرق الباب والاستئذان، ومن يدخل بدون ذلك يعاقبه بالخروج وعدم معاودة الدخول إلا بعد خمس دقائق، وأتذكر أياماً يأخذني معه الى المكتبة العامة في مدرسة جدحفص الاعدادية وكنا نمر في طريقنا على المقبرة فيأمرني بقراءة الحمد ولم أكن قد حفظتها بعد فيقول لي اقرأ مقدار ما تحفظه. كنت أراه يضغط على إخوته الصغار ليهتموا بالدراسة، كان محبوباً في البيت وفي نفس الوقت يخشاه إخوته اذا ما ارتكبوا خطأً ما، لا أتذكر ولا مرة ضربني أو ضرب أحد إخواني أو تعارك مع أحد في البيت أو خارجه. كانت علاقاته الاجتماعية طيبة ودودة ولم أسمع من أصدقائه ومن عرفوه إلا الذكر الحسن والثناء الجميل.

مع الأصدقاء -كما ينقل أحد إخواني- كان جديا كما هو في البيت، وكان يحب النصح لهم، ولم يكن يحب المزاح الثقيل والمزح باليد والسخرية والكلام على الناس. لكنه كان يحب المرح والابتسامة والنكت الهادفة. أما أصدقاؤه القريبون سواء في البحرين أو قم فقد وجدت في مشاعرهم وقرأت في عيونهم وسمعت من كلماتهم حبا كبيرا وإكبارا واعتزازا بالشهيد، ومما سمعته على لسان بعضهم: كان الشهيد متميزا بالإيثار فكان دائما يقدم مصلحة الآخرين على مصلحته، ويعطي الآخرين الافضل ويأخذ الأقل والأدون. وكان متميزا بالاخلاص في العمل، خدوما مبادرا دائما لمد يد العون للجميع، صبورا قنوعا.

▫ الشّهيد إبراهيم المادح

إنـني أعـرف شـبيبة اليـوم في البحريـن وهـم لم يـروا الشهيـد بعيونهـم ولامرة، ولكنهـم يعشقـونه إلى درجـة أثـارت دهشـتي بأشـد مايكـون.

حـملَ الإسـلام هدفًـا ومنطلقًـا ونهجًـا وأمـلاً وتطـلعًا للإصـلاح فـي الأمـة على جمـيع الأصعـدة ومنهـا الصعيـد السيـاسي.

□ كيف كانت دراسته الأكاديميّة، وكيف كانت بداية التحاقه بالحوزة العلميّة؟

□ أنهى الشهيد دراسته الاكاديمية الثانوية (القسم العلمي: تخصص فيزياء رياضيات) وهو أصعب تخصص كما هو معروف، وتخرج من مدرسة النعيم الثانوية، والتحق مباشرة بعد تخرجه بالحوزة العلمية في قم المقدسة عام ١٩٨٤م وكان من الطبيعي جدا أن يتجه للدراسة الحوزوية؛ فقد كانت اهتماماته وميوله وصداقاته وقراءاته كلها متمحورة حول الدين منذ الصغر، ولازلت أتذكر مكتبته الشخصية، فقد كانت عبارة عن مكتبة طالب علم حوزوي بالدرجة الأولى بالاضافة لكتب متنوعة جدا، ولازلت أتذكر اليوم الذي اشترى فيه تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ولم أكن أعرف ماهذا الكتاب ولكن السرور والفرح الذي شاهدته على وجهه والذي لم أكن أفهم سببه قد جعلني أحفظ ذلك المشهد لحد الآن. فقد كان متعلقا جدا بطلب العلوم الاسلامية منذ أن كان صبيا، حينها كان يجمع من مصروفه اليومي ليشتري قصة من قصص الأنبياء أو أهل البيت عليهم السلام، ثم بعد أن أصبح شابا قادرا على العمل انطلق بشكل أكبر نحو الكتب والعلم، ولذلك لن يكون مساره الدراسي الى غير الحوزة.

أضف إلى ذلك فإن النور الذي تفجر في إيران على يد إمام الأمة الراحل (قدس الله روحه الطاهرة) كان له أقوى التأثير في جذب أصحاب الهمم العالية من الشباب المؤمن الطموح آنذاك، فتطايروا كالفراشات نحو ذلك الوهج المنبلج، ولذلك التحقوا بالحوزات والجبهات. وكان من قبل هجرته في سبيل الله تعالى قد صرح لأخواته بأنه راغب في الشهادة، وكنا نراه قبل سفره بمدة مديدة قد اشترى آلات (الحديد) التي تستعمل في رياضة كمال الأجسام، وأظنه كان يعد العدة للذهاب للجهاد والذود عن حياض الاسلام في جبهات الدفاع المقدس منذ أن كان في البحرين.

□ هل كانت للشهيد أدوارُ رساليّة يمارسها قبل التحاقه بالحوزة؟

□ قبل التحاقه (رضوان الله عليه) بالحوزة في قم كان يحضر دروسا في البحرين وهي دروس شبه حوزوية تقام في قريتنا كدورات فقهية واخلاقية وعقائدية وماشابه، وينقل أخي الاكبر أنه حضر مع الشهيد بعض تلك الدروس وكان الشهيد أصغر الطلاب سنا. كان أيضا -كما يذكر أحد اخواني- يقضي أكثر أوقاته مع الرساليين العاملين على التوعية والأنشطة والفعاليات في المنطقة، وكان همه واهتمامه أكبر من سنه في الواقع. كان محبا للعمل الاجتماعي حريصاً على حضور المحافل الدينية والاجتماعية من المساجد والحسينيات ومجالس شهر رمضان وعاشوراء، ويحث وينصح من حوله بالذهاب لصلوات الجماعة وحضور مجالس سيد الشهداء (عليه السلام) وما شابه.

وأما اهتماماته فممكن اكتشافها من مكتبته التي كانت تضم كتبا وكتيبات اسلامية متنوعة (تفسير وفقه وفكر واخلاق وعقائد وغيرها) وكتبا ثورية وسياسية، ومعاجم في مختلف العلوم والمعارف والصناعات والمهارات فمكتبته متنوعة جدا، ولا زلت أتذكر الكثير منها حيث لازالت العائلة تحتفظ بالكثير منها. وأما كل ما يتعلق بثورة الامام الخميني أو الشهيد الصدر فقد جمعه وأخفاه بعد نشوب الحرب الصداميّة الأمريكية ضد الجمهورية الإسلامية المباركة.

كان الشهيد يدخر كل ما يحصل عليه من النقود من مصروفه ومن (العيديات) ومن شغله في التعطيلات في البناء والنجارة، ومن تجارته الصغيرة حيث كانت عنده (بيعة) متواضعة في المنزل يبيع فيها المأكولات على الاطفال، كان يوفر كل مايملكه لشراء الكتب فقط، فكانت مكتبته كبيرة جدا بالنسبة لشاب لم يتجاوز الثمانية عشر عاما في ذلك الزمان، وكانت تضاهي مكتبات علماء الدين.

□ هل كانت للشيخ الشهيد أدوار وتطلعات سياسيّة سواء كانت فكرية أو ميدانيّة في البحرين؟

□ أما التطلعات السياسية فقد كان الشهيد كسائر الشباب المؤمن الواعي آنذاك الذين يحملون الاسلام هدفا ومنطلقا ونهجا وأملا وتطلعا للإصلاح في الأمة على جميع الاصعدة ومنها الصعيد السياسي، مستضيئين بنور وهدي علماء وفقهاء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أمروا شيعتهم بطاعة الفقيه ولزوم أمره ونهيه والانقياد التام له في كل ما يتصل بدينهم ودنياهم في زمن الغيبة الكبرى.. هذا النهج الثابت لمدرسة اهل البيت (عليهم السلام) والاسلام المحمدي الأصيل الذي سار عليه المؤمنون جيلا بعد جيل قد وصل في زمن شهيدنا الغالي إلى عظيم ليس له نظير طوال التاريخ وهو الامام الراحل الخميني (قدس الله نفسه الزكية) الذي عشقته قلوب الملايين في الأرض، ولقد عشقه الشهيد وذاب فيه وفي مشروعه الاسلامي الثوري السياسي النهضوي منذ أن عرفه في سن الصبا.

طبعاً كان العمل السياسي محظورًا آنذاك ودستور البلاد مجمدا ولا قانون إلا (قانون أمن الدولة) فكانت الدولة في البحرين بوليسية تماما، وليس من السهل القيام بنشاط سياسي علني في ذلك الوقت. وأتذكر في ذلك الزمان أن الشهيد كان من المنظمين لموكب شبابي في القرية حيث انتشرت آنذاك المآتم الشبابية الصغيرة والتي تقام في غرفة خشبية صغيرة يصنعها الشباب وينطلق منها موكب يتسم بالثورية وتردد فيه شعارات سياسية مناصرة للثورة الاسلامية، أتذكر (مكبر الصوت) اليدوي ذو اللون الأحمر فقد كان يحفظه في منزلنا. وأتذكر عندما وصل نبأ استشهاد شهيد العصر وعبقري الأمة السيد محمد باقر الصدر (قدس الله روحه الطاهرة) اشتعلت الاحتجاجات والمواجهات في قريتنا مع قوات الشغب، ولا زلت أحتفظ في مخيلتي بصورة للشهيد وهو يدحرج اطارا كبيرا في الاحتجاجات وبالتأكيد لن يكون إلا في مقدمة المتظاهرين.

كان النشطاء في الشأن الديني مستهدفون ولا وجود لحراك سياسي معلن، لذلك عندما سألت أحد اخواني عن هذه النقطة بالتحديد قال بأن الشهيد كان في ظل ذلك الوضع الأمني الخانق، يخرج من المنزل ولانعلم ما هو نشاطه، ولكن نعلم أن الذين يلازمهم على الدوام من أساتذته حينها كانوا من أبرز القياديين في العمل الاسلامي على مستوى البحرين، وكانوا يتحركون بسرية، وقد تم اعتقالهم بعد ذلك في الضربة الأمنية المعروفة التي اعتقل فيها مجموعة قيادات جمعية التوعية الإسلامية، وهي الجمعية التي كانت تقود العمل الإسلامي على مستوى البحرين بزعامة ثلة من العلماء الأعلام وأبرزهم مؤسس الجمعية سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام ظله الوارف).

□ بعد التحاقه بالحوزة العلميّة، ما الدور الذي كان يمارسه شهيدنا في البحرين؟

□ الشيخ الشهيد لم يعد للبحرين بعد سفره إلى قم المقدسة؛ وذلك بسبب منع السلطات الجائرة في البحرين لطلاب العلم من العودة الى وطنهم وأهلهم ليمارسوا وظيفتهم في تبليغ الدين، ولكن الشهيد الحبيب كان ملهما ومعلما ومبلغا للاسلام ولطلب العلم والجهاد والشهادة بنفس روحه الطاهرة ودمه الزكي، أعتقد أنه كان ولازال وسيبقى يؤدي هذا الدور، ليس للبحرين وحسب، بل إلى ماشاء الله تعالى له ولدمه أن يصل، فالشهداء أحياء، وأدوارهم حية خالدة بلا ريب، ولقد رأيت بعيني نماذج ممن عرفوا الشهيد، سواء في أيام حياته أو في أيامنا هذه، وجدتهم قد استلهموا من الشهيد المضي على ذات الطريق الذي مضى عليه، طريق العلم والعمل والجهاد والشهادة، والعجيب أنني أعرف شبيبة اليوم في البحرين وهم لم يروا الشهيد بعيونهم ولامرة، ولكنهم يعشقونه بدرجة أثارة دهشتي بأشد مايكون، فلقد رسموا مسارهم في الحياة وخططوا مستقبلهم على نفس طريق ونهج الشهيد!! والسبب هو ارتباطهم العميق وتأثرهم الشديد بالشهيد. والله لكأنك تلمس دماء الشهداء وهي تسري في عروق المؤمنين جيلا بعد جيل. نعم لقد عاد شهيدنا الغالي الى البحرين بروحه؛ ليحيا حياة، ويحيي أرواحا، ولكي يؤدي بدمه دورا ماكان سيبلغه ببدنه. فجزاه الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء، ورفع درجته في العلماء الشهداء، بجاه محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

□ سماحة الشيخ، لكم مِن أسرة «الطليعة» جزيل الشكر والإمتنان على إتاحة هذه الفرصة. ثبّتنا الله على طريقهم.

الشاهرودي وقاسم

الأصالة والتلمذة والتجديد

□ سيدعمار الموسوي

في ستينيات القرن الماضي في أزقّة النجف الأشرف شابّان يافعان أوْلاهما السيد الصدر عناية خاصة -فيمن شملتهم عنايته- تميُّزا بالنبوغ المبكّر، والشخصية القيادية رغم حداثة سنِّهما، زملاء حلقة ذلك الدرس، بل تلك المدرسة، وكانا رجالات هذا الخط من البدايات، فرَّق بين جسديهما الهمّ الرسالي والجغرافيا السياسية (١٩٧٢)، ثم شاءت الأقدار بعد عشرين عامًا أن يلتقيا ثانيًا (١٩٩٢)، قم المقدسة مركز الحضارة العلميّة والثورة، إلا أنَّ الزميل أصبح تلميذًا بين يدي زميله، وأيُّ عظمةٍ هذه، خصوصًا إذا كان التلميذ أسنّ من أستاذه.

في قم يختار أن يتتلمذ على الممثل الأقرب لمدرسة أستاذه الصدر الذي يقول: «**السيد محمود الهاشمي أفضل من يمثّل توجُّهات المدرسة**»، وهو ركن من أركانها، بل هو الوجود الأقرب لوجود أستاذه القائل: «**السيد الهاشمي عنوان وجودي**».

ولهذا نرى التلميذ قاسم يعتزُّ ويقدِّر هذه التلمذة حين يصّرح في مطلع بيان تعزيته برحيل الأستاذ الشاهروي «**أستاذي الكريم**»، ثم يُذيِّل البيان أيضًا معرِّفًا نفسه بـ: «**طالب من طلاب السيد السعيد**» وفي هذا معانٍ ودلالات كبيرة.

لا يشكُّ أحدٌ في عظمة شخصية الأستاذ السيد الهاشمي الشاهرودي علمًا وعملًا وجهادًا، وأنَّ وجوده كان نعمة كبيرة على المسلمين، لهذا قال في حقِّه الإمام الخامنئي: «**يعدّ -بفضل الله تعالى- شخصيةً علميَّة وفكريةً وعملية جامعة، ومجتهدًا متنوِّرًا ومفكِّرًا بارعًا، وهذه من النعم الإلهية الكبرى علينا**».

وانطلاقًا من هذه الكلمة المباركة نقف مع بعض معالم شخصية الأستاذ، وتجلِّيها وانعكاسها في تلميذه:

المعلَم الأول:
الأصالة الفكريَّة

كلٌّ من الأستاذ وتلميذه انطلقا في وعيهما في قضايا الأمة والشأن العام من أسس فكريّة وفقهية أصيلة ورصينة، فالأستاذ من فقهاء الطراز المتقدِّم جدًا -في عصرنا الحاضر- الذين شيّدوا المباني العلميَّة المتينة، وحوَّلوا الفقه إلى دستور حياة، والتلميذ -بحق- تجلٍّ لأستاذه في أصالته العلميّة والفكريّة، وهو ما يدلُّ عليه شهادة الأستاذ باجتهاد تلميذه وفقاهته.

وهي أصالة لا تلغي الانفتاح الواعي، فالأستاذ الشاهرودي كان يتطلّع نحو تطوير المناهج العلميّة في الحوزة وفقاً لمعاييره وقناعاته التي آمن بها، ولم تكن مؤسّسة (دائرة المعارف) سوى واحدة من خدماته للدين والفقه، وكان منفتحًا على الثقافات الأخرى -ومنها على مستوى الأحكام القضائية- وكان يقول: من الضروري لنا فهم التجارب القانونيّة في العالم؛ لا لكي نستفيد منها فحسب، بل لكي نفهم أنماط التفكير العقلائي في مجال تدبير الحياة أيضاً، بما يمكّننا من فهم النصوص الشرعيّة والتجربة القانونيّة الإسلاميّة نفسها.

المعلَم الثاني:
الحِكمة العمليّة

تتميّز الشخصيات بسعة أفقها ونوعيّة مواقفها وإبداع قراراتها، المنطلقة من الفهم الدقيق والحيوي للكتاب والسنّة، المبتنية على التقوى والمسؤولية الشرعية رغم المخاطر والصعاب، وهذا ما كان عليه الأستاذ والتلميذ، ومنذ ريعان الشباب كانت مواقف الأستاذ في النجف الأشرف تتّسم بالحِكمة والحنكة والوعي، الذي أهَّله ليكون وسيطًا بين عملاقين هما الصدر والخميني، وهكذا إلى تسنّمه المسؤوليات الكبيرة في الجمهورية الإسلامية، ولو تأمّلنا المفاصل التاريخية التي مرّ بها التلميذ خلال نصف قرن نلاحظ ذلك بوضوح أيضًا.

فهماً يمثّلان تجربة إسلاميّة أنموذجيّة في عصرنا الحديث قادرة على الاستجابة لمتطلّبات العصر، وتقف سدّاً منيعاً في مواجهة كلّ المؤامرات التي تحاك لأوطاننا وللأمّة كلها، وقد حذر الأستاذ الهاشمي النظام في البحرين في عام (٢٠٠٧م) من مغبّة الاعتداء على سماحة آية الله قاسم «نستنكر أشدّ الاستنكار الاعتداء الأثيم الذي تعرّض له منزل سماحة العلّامة الجليل حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عيسى قاسم (حفظه الله تعالى)، ونصنّفه في خانة التعرّض للرموز الدينية بما يخلق الفتن الطائفية والمذهبية ولا يخدم إلا أعداء الأمّة، وندعو السلطات المعنيّة إلى التعامل بحكمة وروية وتجنيب البحرين الفوضى والخراب الذي يريده الأعداء لها».

المعلَم الثالث:
الحركية الجهادية

إلى جانب الفقاهة التقليدية، كان الأستاذ مجاهدًا في سبيل الله، فمنذ العام ١٩٧٤م اعتقل من النظام الصدامي في العراق وتعرّض لأبشع أنواع التعذيب، إلى عام ١٩٧٥م حين زار حركة المحرومين الجناح العسكري -مع السيد المغيب موسى الصدر- في بعلبك لبنان مع الشهيد مصطفى جمران، وقد كرر آية الله قاسم ذلك في بيان تعزيته فقال مستهلاً: «إلى جوار الله وواسع رحمته يا فقيد الإيمان والعلم والتقوى والجهاد الواسع في سبيل الله»، وعزّا المجاهدين برحيله، وختم بيانه بأنّ الأمة لن تنسى أدواره الجهادية: «وأجزل ثواب أهله وعشاقه وسائر المؤمنين الذين لن ينسوا أدواره الجهادية المتعددة».

أمّا التلميذ فلا زال إلى اليوم يقف في خندق الحق والجهاد ضد الظلم بشتى الوسائل المتاحة والممكنة، ويقود شعبه وأمَّته إلى برّ النصر والظفر إن شاء الله.

المعلَم الرابع:
الوعي السياسي المتقدم

حين يتتلمذ الأستاذ على يد الصدر والخميني يعني ذلك أن يفهم الإسلام في أبعاده كلّها، وحين يتشبّع التلميذ بزلال المدرستين العظيمتين، يعني ذلك النتائج المبهرة والمتميِّزة، آخر لقاء مباشر جمع التلميذ بأستاذه كان في العام ٢٠١٠م في قم المقدسة، ودار الحديث عن المشهد السياسي في المنطقة، فأخذ آية الله قاسم في تحليل وقراءة المشهد في المنطقة والعالم، والأستاذ كعادته كلُّه آذان مصغية لتلميذه، مع إبداء الإعجاب تارة والتأييد أخرى، حتى انتهى قاسم من حديثه فأخذ الأستاذ يثني على كلام تلميذه قائلاً وملؤه الغبطة: دائمًا ما أتحدث عنكم مع الأصحاب، مادحًا قدرة الشيخ على التحليل والربط بين الأحداث والاستنتاج منهما.

ومن المواقف التاريخية للأستاذ السيد الهاشمي مبادرته ومشروعه الرائد مشروع «الشرق الأوسط الإسلامي» الذي أطلقه في زيارته الرسمية للبحرين عام ٢٠٠٥م وهو عبارة عن مجابهة واضحة لإجهاض المشروع الأمريكي «الشرق الأوسط الجديد» الذي كانت عرّابته وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك، ولهذا كان خطوة قوية وجريئة وذكية.

المعلَم الخامس:
الفاعلية الرسالية

إنَّ لوقع أنفاس الصدر الرسالية أثر خاصّ ومميّز، وقد استنشقتْ عقول وقلوب طلابه عبقها، فلا تجد لحظةً من لحظات حياتهم تصرف في ترف أو فضول، بل عُجنت نفوسهم بهمِّ الدين وتبليغه، وإنَّ المؤسسات العلميّة والتبليغية التي أسّسها السيد الهاشمي الشاهرودي قلّ نظيرها، وانعدمتْ نظائر نتاجاتها، وإنَّ الثورة التوعوية والثقافية التي أحدثها قاسم في البحرين خلال نصف قرن شاهدٌ شاخصٌ للعيان، وما كلَّفه جهاد الكلمة والموقف من الظلم وجور.

وإنَّ حلقة درس السيد الصدر لم تكن كأيِّ حلقة، حيث كانت المصنع الروحي والفكري والأخلاقي والرسالي، إذ لم يكن عطاء الأستاذ فيها مجرّد علم، ولم يكن مجرد قوالب واصطلاحات للفهم والحفظ، بل كان عطاؤه الفكري والتربوي ووهجه الروحي يفوق عطاءه الفقهي الأصولي رغم عظمته، فكان أبًا روحيًا، وقائدًا فكريًا، ومربِّيًا رساليًا، وهذا ما ظهر في تلامذته ومن أبرزهم: الأستاذ الشاهرودي والتلميذ قاسم.

رايَة العلمانيّة التي تُريد فرنسا رَفعها عاليًا

□ جعفر حبيل

هكذا يقول الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون «**سنحمل راية العلمانية عاليًا**»[1]، بعدَ صدام كبير بينَ مجتمعات العالَم الإسلامي ومؤسساته الشعبيّة الحرّة والسّياسة الفرنسيّة إثر تكرار نشر الرسومات المسيئة للنبي الأعظم(ص) وعبر إحدى المجلّات الفرنسيّة. خرج الرئيس الفرنسي مُدافعًا عَن قِيَم الحريَّة التي تحملها بلاده، وتعهدّ بحفظ دُرَّة الحريّة التي تزيّن تاج الجمهوريّة الفرنسية الفريدة، لكنه فشل فشلًا ذريعًا في تسويق هذه البضاعة التي أكلَ الدّهر عليها وشَرب، إذا لم تعد مُصطلحات العلمانيّة والحريّة وكلّ ما كانَ يلمع في «المجتمع الغربي» ذهبًا في مجتمعاتنا.

لايختلف المشهد الفرنسي عن مشاهد التطبيع من حيث المؤدّى، فهيَ صراعاتٌ ثقافيّة وسياسية تتفّق في جوهرها وفي كَثير من مظهرها، فتلك الأوراق الانتخابيّة التي أرقصَ بها ثنائي التطبيع (الأمريكي والصهيوني) حُكّام الخليج حاضرَة بذات أهدافها الانتخابيّة في فرنسا ومأزقها السياسي الدّاخلي، والصّعود المتنامي للشّعور الإسلامي ومدرسته الفكريَّة تؤرق «الجمهويّة الفرنسيّة» ثقافيًا وسياسيًا كما تؤرّق أنظمة الحُكم هُنا، إلّا أنَّ الوعي الشعبيّ والنخبوي في المجتمع الإسلامي لم يَكُن ليتجاوز عَن هذه المنعطفات بحسٍّ تبريريّ وإنما بموقف صارم ومؤكد بأننا لانزال قوَّة لايُمكن تجاوزَها بالرّغم من كلّ الفضائعَ التي أنزلهاَ بِه حُكامه المدعومين مِن «الحريَّة الغربيّة نفسها»!

الحُريَّة المشوَّهَة

تعليقًا على إيقاف قناة المنار، يقول آية الله قاسم في العام ٢٠٠٤: «تُوقِف [فرنسا] بث محطة المنار حماية للثقافة الفرنسية، وقارن بين محطة المنار وبين ما لايحصى من فضائيات وصحف وكتب وشبكات اتصال متقدمة بحجم يغطي مساحة المعمورة كلها ويغرقها بصديد ورجس ووسخ وقذارات حضارة الجنس والسطو والنهب والحرق والدمار والتعذيب والترويع للشعوب والأمم». وهي كلمة من كلمات كثيرةَ قيلت في العالَم الإسلامي لتكون هي الظّل الأفصح لِما يقوله ماكرون اليوم «فرنسا لن تُغيّر من حقّها في حرية التعبير» ولكن بالشّكل المقلوب، ففرنسا تجد نفسها الوصيّة على عرش الحُريّة فتضع في قالبه مايصحّ ومالا يصح، فحَجب قناة المنار -في ذلك الحين-، ومعركة الحجاب المستمرة، واحتضان الإسلاموفوبيا اليوم، والتهديد بالقوانين الصّارمة تجاه المُسلمين «**الموصومين بالانعزاليّة والإنفصاليّة**» هي غيض من فيض النُسَخ المحدَّثة للحريَّة الفرنسيّة التي تفتح ذراعها «ليدك العاملة» دونَ فكرك المستقلّ، أو المستقلّ إلى الحدّ الذي ينسجم مع «علمانيّتها» أو «لائكيّتها» التي لم تعد تطيق الإسلام وعيًا حركيًا لايقبل الاحتواء والتهجين وفق أنظمة الضّبط لتكونَ لائقة بتلك الحريَّة!

أرقام وأعوامٌ مِن التاريخ الأسود

«**العلمانية لم تقتل أحدا قط**».[2] هكذا يغرّد الرّئيس الفرنسي عبر حسابه الشخصي إثر ردود الأفعال بعد استفزازات نشر الرّسوم المسيئة دونَ أن يبصر أسفل قدميه أو على ماذا يقف، ليسَ في صفحات تاريخ العلمانية التي وصفها "أنها لم تقتل أحدًا قط"، فتلكَ مُرهقة "للرّئيس النموذج في الحريَّة والتعبير" وإنما منذ تاريخ العلمانيّة الفرنسيّة ابتداءً ١٩٠٥، ولو شئت كفّ العناء قُل منذ آخر مستعمرة فرنسيّة، وصولاً إلى «ديبلوماسيّة الاستعباد» اليوم في القارَّة الأفريقيَّة.

كلّ مشروع فرنسا العلماني الذي لم يَسلَم منه حجرٌ أوْ بشَر كانَ في نَظر الرّئيس المنقذ والمحرّر ولربما العامل المحيي للبشريّة بعدَ أن ذُرّت رمادا.

ففرنسا تتقلّد اليوم وسام الكثير من المذابح «اللائكيّة» التي لاتُنسى، منها مذابح انتفاضة مدغشقر التي وفق أقلّ التقادير قتلت فيها فرنسا بين ٨٠,٠٠٠ - ٩٠,٠٠٠ في صور مروّعة صونًا لمبادئها السامية التي استخدمت فيها الأرض والجوّ لسَحق تلك الشعوب بأفضع الأساليب، ومذابح الجزائر التي يفوق ضحاياها «الخمسة ملايين ونصف المليون»[3] وقرىً مُبادة بالأسلحة، إلى جانب تجاربها النووية اللاإنسانيّة البشعة في الأرض الجزائرية، وصولاً لديها الملطختين في أشهر عمليات الإبادة عبرِ التاريخ التي راح ضحيتها مايقارب ٨٠٠ ألف قتيل في رواندا ١٩٩٤، وصولاً إلى الاستعمار الحديث الذي يلائم «بريق العلمانيّة» بنُسخه الجديدة بالنهب وامتصاص ثروات القارّة الأفريقيّة وشعوبها بما يستدعي فتحت عشرات الصّفحات. فـ«أين كل الشعارات يا غرب، يا عشاق الغرب، يا علمانيون؟!».

الديمقراطيَّة المنشودة

في هذا المضمار، تبقى فرنسا حريصة أشدّ الحرص في الحفاظ على ديمقراطيّتها من الأزمة التي يعيشها الإسلام - في نظر الرّئيس الفرنسي- ومن الانفصاليَّة الإسلامية التي يرفع قميصها لإثارة فزَع شُركاء المُسلمين في أوروبا، إنها الديمقراطيّة المنشودة التي تطلع إليها الحضارة الفرنسيّة في دائرة الانتماء الغربيّ الموحّد. ولكنّها أيّة ديمقراطيّة؟ "الديمقراطيّة المسموح بها من الغرب في البلاد الإسلامية هي الديمقراطية التي تبقى سيادته على بلاد الغير. وفيما عدا هذا اللون من الديمقراطية الباب دونه مسدود، كما يشهد بذلك تعامل فرنسا أم الديمقراطية مع التجربة الديمقراطية في الجزائر". يقول آية الله قاسم في حديثٍ بعنوان "الإسلاميّون والديموقراطيّة" ٢٠٠٧.

أما عن الموقف الفعليّ من هذه الديمقراطيّات فيقول قاسم في حديث بعنوان «الانتخابات الإيرانية.. وقائع ودلالات» ٢٠٠٩: «المنقلب على الديموقراطية هو الغرب، وأتباع الغرب كما في تجربة الجزائر، وتجربة حماس، وتجربة العراق، وتجربة إيران القائمة، أما حزب الله الذي يمثّل خطّاً إسلاميّاً أصيلاً وناصعاً فإنه وقف من نتائج العملية الديموقراطية موقفاً شريفاً معترفاً بغلبة الطرف الآخر وإن كانت غلبة وُجدت وراءها في تقديره امور وأمور مسيئة للديمقراطية. حزب الله مثال إسلامي، وأنه لم يتمرد على نتائج الديمقراطية، وأمريكا والغرب وعملاء الغرب، والحكومات التابعة للغرب تمردت مرة ومرة وأخرى على نتيجة الديموقراطية حين جاءت في صالح الإسلاميين شيعة كانوا أو سنة».

(١) خطاب متلفز ٢١ أكتوبر ٢٠٢٠، الوكالة الفرنسية
(٢) العلمانية في فرنسا لم تقتل أحداً" / الحساب الشخصي، ايمانويل ماكرون ٣١ أكتوبر ٢٠٢٠
(٣) الرئيس الجزائري، ٧ مايو ٢٠٢٠ الذكرى ٧٥ لمجازر الثّامن من مايو ١٩٤٥

الشيخ المصباح.. الصالح المتفاني

الأمَّة تبتهل لسلامة فقيهها الفيلسوف وأحد أساطين علمها

آية الله قاسم: أوصي عموم المؤمنين بإكثار الدعاء وبالخصوص في الأوقات الخاصة والصدقة وكل عمل قربي مما يطلب به الشفاء من أجل سلامة الرجل الصالح المتفاني في خدمة المؤمنين والأمة سماحة آية لله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي شفاه لله وعافاه وأمده بعمر طويل في صحة وعافية في خدمة الإسلام والمسلمين

«الشيخ مصباح ذوالشهادتين»[1].

الإمام الخميني

(١) آية الله مسعودي الخميني

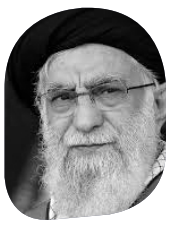

«إنّي أعرِف سماحة الشيخ مصباح منذ أربعين سنة تقريبًا، وأودّه باعتباره فقيهًا، فيلسوفًا، متفكرًا صاحب نظر في المسائل الإسلامية»، «الجيل الحاضر ان لم يوفقه الله سبحانه و تعالى للاستفادة من شخصيات كبيرة أمثال العلامة الطباطبائي والشهيد مطهري فقد ملىء الفراغ في هذا العصر - برعاية الله - من قبل شخصية عزيزة و جليلة (آية الله مصباح اليزدي)». «أشكر الله سبحانه و تعالى وأحمده على أنَّ جيل الشباب فى جميع أنحاء البلاد يكنّون لآية الله مصباح حبًا شديدًا وتقديراً كبيرًا». «باعتقادي أن من الأمور التي لها أثر بالغ في هذه الجانب - درْك مفاهيم القرآن الكريم بأفضل صورة - الاستعانة والاستفادة من مؤلفات الشهيد المطهري ونتاج أساطين العِلم المعاصرين من أمثال آية الله مصباح وغيره ممن لهم إحاطة كاملة بأسس الفكر الإسلامي حقا وحقيقة. بإمكانكم الاستفادة من هذه المصادر القيّمة، وكذلك يمكنكم صياغتها بأسلوب سهلٍ وبسيط».[1]

الإمام الخامنئي

(١) عدد من اللقاءات والمناسبات

لماذا خفق قلب آية لله قاسم عندما تعرض «المصباح» للعارض الصحي؟

جاءت الدعوة التي وجهها سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم بالدعاء وبذل الصدقات لسلامة سماحة آية الله الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي إثر تعرضه للعارض الصحي الأخير، لتعبّر عن حرص سماحته على سلامة واحدة من أكابر الشخصيات الفكرية المعاصرة، فـ«اليزدي» الذي جاء من مدرسة «الإمام الراحل» و«صاحب الميزان»؛ خاض غمار الثورة الإسلامية كواحد من القيادات الحركية غير العادية، ليشكل اليوم واحداً منَ أسى الفكر الإسلامي الأصيل.

وعلى الرغم من فرادته، فإن الأوساط الفكرية الإسلامية تطلق عليه لقب «مطهري العصر»، وذلك لما يشكله نتاجه المعرفي والفكري من دعامة ثقافية قوية في مواجهة الأفكار المنحرفة، إلى جانب متانة واستحكام هذا النتاج الزاخر، والمتعدد الجوانب.

وقد كانت كتب سماحته في السنوات الأخيرة محطّ اهتمام الشباب لما تشكله من مصدر إرواء للعطش الفكري المتنامي، ولما تقدمه من حسم فكري لأهم القضايا العصرية، على أنّ الحاجة في تزايد ليتعرّف الشباب على أفكاره الصلبة، والتي تدفع بواقع أكثر جديّة في التعامل مع قضايا الساحة، سواء في جوانبها الثقافية والفكريّة، أو حتى السياسية العامة، فلا تكاد تخرج معه متردداً، لما يشحنه من زخم فاعل، ووثوق لا يعتريه الخجل.

ورغم تربع «المصباح» عرش الفلسفة الإسلامية في زماننا الراهن، إلا أنّ نتاجه شمل الجانب العقائدي والأخلاقي والعرفاني كذلك، ليشبع الظمأ المتشظي، في ساحة طالما عبّرت عن حاجتها للقامات الثقافية الفارعة، والتي يشكل الإبحار معها فتحاً من الفتوح الثقافية والفكرية.

إلى جانب ذلك، فإن «الفيلسوف الإسلامي الأشهر» -ولد ١٩٣٤م- يشغل في الوقت الحاضر منصب رئاسة مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحث العلمي، ورئاسة المجلس الأعلى للمجمع العالمي لأهل البيت، وعضوية جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بمدينة قم، وعضوية المجلس الأعلى للثورة الثقافية.

ولعلّ هذا الاهتمام الذي أولاه سماحة آية الله قاسم ليوصي الجماهير المؤمنة بـ«إكثار الدعاء وبالخصوص في الأوقات الخاصة والصدقة وكل عمل قربي مما يطلب به الشفاء من أجل سلامة الرجل الصالح المتفاني في خدمة المؤمنين والأمة سماحة آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي» كما جاء في البيان الصادر عنه يوم الأربعاء ٢ ديسمبر ٢٠٢٠، ليؤكد على أهمية مَن أوصى بالدعاء له، ومن أجل أن لا تهمل الساحة نتاجه وفكره الثّر، وحتى لا يغيب عن بال الأجيال والناشئة أن للفكر والثقافة أساطينه، ومصابيحه المضيئة.

□ **إبراهيم علي**

تاريخٌ طويلٌ من الصّداقة

لربما كانت إحدى أجمل لحظات حياتي عندما التقى شخصان قضيت عدة سنوات في إعداد فيلمَيْن يوثّقا سيرة كلّ منهما؛ آية الله الشيخ عيسى قاسم، زعيم الشيعة في البحرين، وآية الله المصباح اليزدي حفظهما الله صديقان كان لهما تاريخ طويل من الصداقة والتقوا من قبل خلال رحلات الشيخ إلى إيران، وبالطبع كان لهم لقاءات أثناء رحلة آية الله المصباح إلى البحرين.

ولكن بعد بدء الانتفاضة الأخيرة للشيعة والمحرومين في البحرين، كان من غير الممكن الالتقاء، وكان الشيخ عيسى قيد الإقامة الجبرية في البحرين، وحكمت عليه حكومة آل خليفة بالسجن، ومن ناحية أخرى لايوجد أي طريق لمن كان في إيران للذهاب إلى البحرين، وهذا هو سبب حرمان لقاء الصديقين القدامى. كان الوضع سيئًا ولم تكن هناك نافذة أمل، لكننا لا ندرك أن الله يظهر نفسه أحيانًا بشكل واضح وحاد للغاية؛ تم إنقاذ الشيخ من الحصار، ومع وصوله إلى إيران، قد تحقق اللقاء الذي كان بعيداً عن الإمكان والتحقق.

في البداية، أراد الشيخ عيسى زيارة صديقه، لكن آية الله المصباح ، وطبقاً لعادة علماء السلف، ذهب لرؤية الشيخ بنفسه، لأن الشيخ دخل مدينة قم.

كان لقاءًا غريبًا وحيويًا، أنا الذي عشت مع صور وجلت في حياتهما لفترة طويلة وعرفت الحزن المختبئ في قلبيهما، رأيتهما مليئين بالبهجة والسعادة. بالإضافة إلى ذلك ، كانت هذهِ هي المرة الأولى التي التقي فيها بالشيخ عيسى عن قرب. أنتجت وأخرجت فيلما عن البحرين عن بعد لمدة ثلاث سنوات تقريبًا. لقد كانت لحظة رائعة ومجيدة. مثل تتويج لتحفة سينمائية ...

عند سماع نبأ تفاقم مرض آية الله المصباح منذ الليلة الماضية، اتصلت بالعديد من العلماء وأقاربهم وطلبت منهم الدعاء والنصح للمؤمنين بالدعاء لهذا الرجل العجيب.

عندما اتصلت ببيت الشيخ عيسى، قال ابن الشيخ إن الشيخ قد تأثر وبكى منذ الليلة الماضية عندما سمع الخبر.

طلبت منه توصية من قبل الشيخ لجميع المؤمنين فأرسلوا لي هذا النص:

«أوصي عموم المؤمنين بإكثار الدعاء وبالخصوص في الأوقات الخاصة والصدقة وكل عمل قربي مما يطلب به الشفاء من أجل سلامة الرجل الصالح المتفاني في خدمة المؤمنين والأمة سماحة آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي شفاه الله وعافاه وأمده بعمر طويل في صحة وعافية في خدمة الإسلام والمسلمين.».

أملي بفضل الله سبحانه، أن يمنّ علينا مرة أخرى، كما منّ علينا في الماضي بمجيء الشيخ عيسى إلى إيران وفكه من حصاره، أن تشملنا نعمته وفضله، وأن يديم علينا ظل هذا الرجل الإلهي.

□ **أحمد شريف زادة**

مخرج سينمائي له عدَّة وثائقيات من ضمنها، وثائقي حول الشّيخ المصباح وحول الشيخ قاسم

الطليعة
المنامة - البحرين
ديسمبر / كانون الأوَّل ٢٠٢٠م
نشرة فكريَّة موسميَّة مستقلّة
لمتابعتنا عبر مواقع التواصل الإعلامي
أو إرسال ملاحظاتكم: تليجرام، انستغرام، تويتر
altaliaa_bh